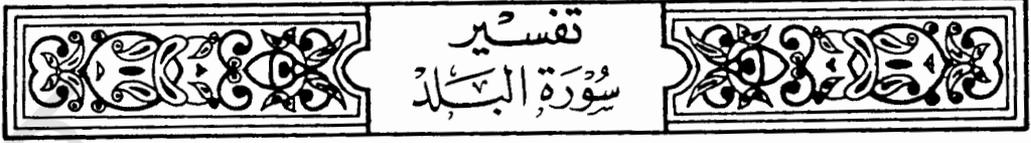


من قبره، فكذلك ههنا. روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة رواحة بنت أبي عمرو الأوزاعي عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال لرجل: «قل: اللهم إني أسألك نفساً بك مطمئنة، تؤمن بلفائك، وترضى بقضائك، وتقعن بعطائك».



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

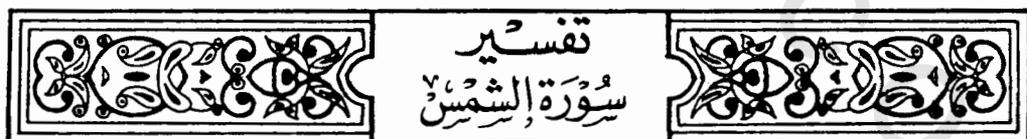
﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ ١ ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ ٢ ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ﴾ ٣ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ ٤ ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ ٥ ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بَدَأُ﴾ ٦ ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ ٧ ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ ٨ ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ ٩ ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ ١٠ ﴿

هذا قسم من الله تبارك وتعالى بمكة أم القرى في حال كون الساكن فيها حلالاً، لينبه على عظمة قدرها في حال إحرام أهلها. عن مجاهد ﴿أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ ١ ﴿لَا﴾ ٢ ﴿رد عليهم﴾ ٣ ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ ٤ ﴿يعني مكة﴾ ٥ ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ ٦ ﴿قال: أنت يا محمد يحل لك أن تقاتل به، أو ما أصبت فيه فهو حلال لك، أو أنت به من غير حرج ولا إثم، أو أحلها الله له ساعة من نهار، وهذا المعنى قد ورد به الحديث المتفق على صحته: «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شجره، ولا يختلى خلاه، وإنما أحلت لي ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، ألا فليبلغ الشاهد الغائب». وفي لفظ آخر: «فإن أحد ترخص بقتال رسول الله فقولوا: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم». وقوله تعالى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ﴾ ٣ ﴿الوالد الذي يلد، وما ولد: العاقر الذي لا يولد له، وقيل: الوالد العاقر، وما ولد: الذي يلد، وقيل: الوالد: آدم، وما ولد: ولده، وهذا حسن قوي، لأنه تعالى لما أقسم بأم القرى، وهي المساكن، أقسم بعد بالسكن، وهو آدم أبو البشر، وولده ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ ٤ ﴿يعني متصبأً، والكبد الاستواء والاستقامة، ومعنى هذا أنا خلقناه سوياً مستقيماً، كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ١٤ [التين: 4]، أو في شدة خلق، أو ﴿فِي كَبَدٍ﴾ ٤ نطفة ثم علقه، ثم مضغه، يتكبد في الخلق، أو في مشقة، أو يكابد أمراً من أمر الدنيا، وأمراً من أمر الآخرة، أو يكابد مضايق الدنيا، وشدائد الآخرة ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ ٥ ﴿أي يقول ابن آدم أن لن يسأل عن هذا المال من أين اكتسبه، وأين أنفقه؟ ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بَدَأُ﴾ ٦ ﴿أي يقول ابن آدم: أنفقت ما لا كثيراً﴾ ٧ ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ ٧ ﴿أي يحسب أن لم يره الله عز وجل﴾ ٨ ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ ٩ ﴿أي يبصر بهما﴾ ١٠ ﴿وَلِسَانًا﴾ ١٠ أي ينطق به فيعبر عما في ضميره ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ ١٠ يستعين بهما على الكلام، وأكل الطعام، وجمالاً

لوجهه وفمه ﴿وَهَدَيْتُهُ النَّجْدَيْنِ﴾ الطريقين: الخير والشر، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ إِنَّا هَدَيْتُهُ السَّبِيلَ إِنَّمَا شَاكِرًا وَإِنَّمَا كَفُورًا ﴿٣﴾ [الإنسان: 2، 3].

﴿فَلَا أَقْنَمِ الْعَقَبَةَ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُ رَقَبَةً ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَمْتُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ بَيْنَمَا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مَسَّكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ ﴿١٧﴾ ﴿فَلَا أَقْنَمِ﴾ أي دخل ﴿الْعَقَبَةَ﴾ جبل في جهنم، قال قتادة: إنها عقبة قحمة شديدة فاتحموها بطاعة الله تعالى أو ﴿فَلَا أَقْنَمِ الْعَقَبَةَ﴾ أي أفلا سلك الطريق التي فيها النجاة والخير، ثم بينها فقال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ فَكُ رَقَبَةً ﴿١١﴾ أَوْ إِطْعَمْتُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿٧﴾ ذي مجاعة، والسغب الجوع ﴿بَيْنَمَا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ أي ذا قرابة، روى الإمام أحمد عن رسول الله ﷺ يقول: «الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان: صدقة، وصلة رحم» وقد رواه الترمذي والنسائي، وهذا إسناد صحيح ﴿أَوْ مَسَّكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ أي فقيراً مدقماً لاصقاً بالتراب، وهو الوقعاء، أو هو المطروح في الطريق الذي لا بيت له، ولا شيء يقيه من التراب ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي ثم هو مع هذه الأوصاف الجميلة الطاهرة مؤمن بقلبه، محتسب ثواب ذلك عند الله عز وجل ﴿وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ﴾ أي كان من المؤمنين العاملين صالحاً، المتواصين بالصبر على أذى الناس، وعلى الرحمة بهم، كما جاء في الحديث: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» وفي الحديث الآخر: «لا يرحم الله من لا يرحم الناس».

﴿أُولَئِكَ أَحَبُّ إِلَيْنَا﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَاتَيْنَا لَهُمْ صَحَابَةُ الْمَشْتَمَةِ ﴿١١﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ ﴿٢٠﴾ ﴿أُولَئِكَ أَحَبُّ إِلَيْنَا﴾ أي المتصفون بهذه الصفات من أصحاب اليمين ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَاتَيْنَا لَهُمْ صَحَابَةُ الْمَشْتَمَةِ﴾ أي أصحاب الشمال ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ﴾ أي مطبقة عليهم، فلا محيد لهم عنها، ولا خروج لهم منها.



في الصحيحين عن جابر أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ: «هلا صليت بسبح اسم ربك الأعلى، والشمس وضحاها، والليل إذا يغشى».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالشَّمْسُ وَضَحَاهَا﴾ ﴿١﴾ وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءُ وَمَا